مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية
مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية التربية الأساسية – جامعة بابل

الخطاب الحجاجي في سورة المؤمنون: دراسة تداولية

أ.م. د. جاسم محمد حسين
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

The Argumentative Discourse in Surat al-Mu'minoon: A Deliberative Study

Jassim Mohammed Hussein
Ministry of Higher Education and Scientific Research

ملخص

لاتزال الدراسات التداولية بكرا في مقامات خطاب القرآن الكريم، واتساع سياقاته القصدية، وسنعمد إلى قراءة سورة من سور القرآن الكريم قراءة حجاجية تداولية، وهي سورة المؤمنون، المكية في نزولها، وقد اتسم الخطاب القرآني في هذا العهد بخصائص، وأعظمها "الاهتمام ببناء العقيدة الصحيحة وترسيخها في النفوس، وذلك لأن العقيدة هي المبادئ والتصورات الأساسية التي يتقنع بها كل انسان فيما يتعلق بالكون والحياة، وهي التي يتوجه ويتصرف بناءً عليها في جميع أحواله وتصرفاته"[(١)]، وانما يتعداه الى بيان وظائفية اللغة من حيث هي انجاز فعلي تنم عنه علاقات دلالية تهتم بالقصد في الخطاب، ولما كان الحجاج هدفه الاقناع والاستدلال عمدنا إلى توظيف المنهج التداولي في تحليل خطاب سورة المؤمنون المتضمنة في خطابها أسلوبا إبلاغياً متميزاً.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، الحجاج، سورة المؤمنون، دراسة، تداولية

Abstract

The Qur'anic discourse in this era is characterized by a number of characteristics, the most important of which is “the interest in building the correct faith and establishing it in the souls, because faith is the basic principles and perceptions that every human being has regarding the universe and life, and it is the one on which he directs and acts accordingly in all his situations and behaviors.

Keywords: Argumentative, Discourse, Surat al-Mu'minoon, Deliberative, Study

*** الخطاب، لغة واصطلاحاً :-**

خطب ،الخاء والطاء والباء أصلان : أحدهما الكلام بين أثنين، يقال خاطبه يُخاطبه خطاباً، والخطبة من ذلك [(٢)]والخطاب : مصدر خاطبته مخاطبة وخطاباً[(٣)] .

ومنه مراجعة الكلام[٤] ، وغرضه الإفهام[٥]، ومحاجة الكلام[٦]، وورد في القرآن الكريم في **قوله تعالى : ((فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ))** [٧]،وقوله ايضآ**((وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ))**[٨]

واصطلاحًا :-

هو الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب[٩]، ولم يستقر مفهوم الخطاب عند اللغويين والمفسرين وعلماء الكلام والفلاسفة لارتباطه بمقاصد توجهاتهم ومذاهبهم ، ورؤياهم في مجمله الا يبتعد عن المعنى اللغوي لـ (الخطاب) .

ودلالاته الاصطلاحية للأفهام فهو ليس مجرد كلام يتكلم به وانما (القول الذي يفهم المخاطب به شيئاً)[١٠] .

ولفظ يلفظ به من حيث (قرب اللفظ من اللفظ في الخطاب)[١١] ، واقتضت هذه التعاريف اللغوية والاصطلاحية بيان دلائل الخطاب في تفسيره القائم على، القصد، والإفهام، والقول، والتلفظ، والكلام، مع مراعاة تحقيق أحوال المخاطب بحسب القصد في السياق

الخطاب والحجاج في تداولية النص القرآني :-

ارتبط الخطاب بالحجاج[*] في النص القرآني انطلاقاً من الوظيفة التواصلية التي تجمع بين المخاطب والسامع والقارئ في تداولية ملفوظة وتأثير أساليبه بالحجة والبرهان

والخطاب الحجاجي يهتم بـ (الملفوظات اللغوية وحتى اللسانية مصفاً وتفسيراً)[١٢]، وتسعى التداولية بمفهومها الحديث إلى (إثارة التقوى، رشد العقول)[١٣] ببيان العلاقات الترابطية بين أجزاء الخطاب لغة وتركيباً.

وعلى الرغم من اندراج التداولية ضمن «علم اللسانيات» إلا أنها لاتقتصر على جانب واحد من جوانب اللغة الصوتية والصرفية والدلالية، وإنما تهتم باللغة في الخطاب، وتحقيق وظيفة التواصل.

والمنهج التداولي في مستوياته السياقية والمقامية لايكون بمعزل عن اللغة في الاستعمال، وبيان منجز الأفعال الكلامية[١٤] ومن مكونات الفعل التداولي : المخاطب، المخاطب، الخطاب ومعناه: السياق[١٥] وتعد هذه أدوات ربط من وجهة نظر التداولية الخطابية في النظام المقاصدي القرآني، فأضيف قصدية القول في التحليل التداولي، وتعد من أهم القرائن التي تعين على تيسير

فهم الخطاب لتحقق شروط البيان والإفصاح في مفهومها[١٦] ولأن القصدية أساس كل فعل كلامي انجازي يتحقق محتواه الخبري من تأثيره في المتلقي واستجابته له [١٧] .

وأهمية الدراسة التداولية في الخطاب الحجاجي للقرآن الكريم تكمن في الوصول للمقاصد الدلالية والتأثيرية .

وكون القرآن الكريم نص منجز معجز فيهدف خطابه، فتضفي التداولية فيه مباحث تركيبية ودلالية تعد من أهم أجزاء الخطاب ومنها، التكرار والروابط والأفعال الكلامية في أساليبه او غيرها من العلاقات النسقية الرابطة بين النص القرآني والسياق التداولي، ما تعتمد التداولية على اللغة الخطابية و التواصلية والاجتماعية في لسانيات النص القرآني[١٨] .وكل هذه الدلالات توظف حجاجياً لاعتبار قصدي في مفهوم الخطاب القرآني .

- **سورة المؤمنون، تسميتها، مكيتها، مقاصدها:-**

تسميتها ومكيتها :-

وردت تسمية هذه السورة (سورة المؤمنون) في السنة عن أبي داود عن عبد الله بن السائب قال صلى بنا رسول الله **(صلى الله عليه وآله وسلم)** الصبح بمكة فاستفتح (سورة المؤمنين) .

ومما جرى على الألسنة أنيسموها سورة (قد فلح)...ويسمونها أيضاً سورة الفلاح[١٩]. وهي مكية باتفاق، والسورة الثالثة والعشرون بحسب الرسم القرآني، والسورة الرابعة في قسم المئين، وآياتها مئة وثماني عشرة آية [٢٠].

مقاصدها :-

ومن مقاصدها كما يقول صاحب الظلال أنها (تبرز حقيقة الايمان كما عرضها رسل الله – صلوات الله عليهم – من ولد نوح – عليه السلام – إلى محمد خاتم الرسل والنبيين **(صلى الله عليه وآله وسلم)** وشبهات المكذبين حول هذه الحقيقة واعتراضاتهم عليها، ووقوفهم في وجهها، حتى ينتصر الرسل بربهم، فيهلك المكذبين وينجي المؤمنين ... ثم يبين اختلاف الناس– بعدالرسل – في تلك الحقيقة الواحدة التي لا تتعدد، وتنتهي السورة بمشهد من مشاهد القيامة يلقون فيه عاقبة التكذيب) [٢١] كما تتحدث سورة المؤمنون على وحدة الأمة الاسلامية خلال العصور ((**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**))[٢٢]، وتنكر تقطيع أمرالانبياء والأخذ ببعضه[٢٣].

وسورة المؤمنين هي سورة الايمان بكل قضاياه ودلائله وصفاته وهو موضوع السورة ومحورها الأصيل، وقد ختمت السورة بما يقرر حقيقة التوحيد المطلق وطلب التوجه إلى الله بالرحمة والغفران [٢٤]

سورة المؤمنون في ضوء وظائف الخطاب الحجاجي التدولي :-

انطوى خطاب سورة المؤمنونْ على مستويين :-

الأول:- **(بنائي)** .

والثاني:- نثري**(قصصي)**.

و"جو السورة كلها هو جو البيان والتقرير ، وجو الجدل الهادئ ، والمنطق الوجداني ، واللمسات الموحية للفكر والضمير . والظل الذي يغلب عليها هو الظل الذي يلقيه موضوعها، ألا وهو الإيمان"[٢٥]، إذ يتجسد البعد التداولي للخطاب القولي، الذي يقصد الى الكشف عن حقيقة الإيمان وآثاره، وتحديد مفهومه عند المخاطَب، فالفلاح حليف من آمن بالله، وهو في الوقت نفسه يستلزم أن من لم يؤمن قد جانبه الفلاح . وقد تنوعت الوسائل اللغويه لتقرير هذا المقصد، وللكشف عن هذا المقصد آثرنا تقسيم السورة على مقاطع، تبعاً للموضوعات التي وردت فيها.

المقطع الأول :-

المقطع الأول من السورة يبدأ **بقوله تعالى :((قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ إِلاَّ عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ العادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ))** (١-١١)

نلاحظ كثرة الإخبار في اوائل السورة لتقرير حقيقة المؤمنين وتثبيت أوصافهم . ومقصدية الخطاب في أوائل السورة برزت من خلال الاجمال ثم التفصيل، الاجمال الذي تمثل بالآية الأولى {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}، والتفصيل الذي تمثل بالمتتاليات الجملية التي تكشف عن صفات المؤمنين وعلة فلاحهم، وهو "افْتِتَاحٌ بَدِيعٌ،لِأَنَّهُم نْجَوَا مِع الْكَلِمِ فَإِنَّ الْفَلَاحَ غَايَةُ كُلِّسَاعٍ إِلَى عَمَلِهِ، فَالْإِخْبَارُ بِفَلَاحِ الْمُؤْمِنِينَ دُونَ ذِكْرِ مُتَعَلِّقٍ بِفِعْلِ الْفَلَاحِ يَقْتَضِي فِي الْمَقَامِ الْخِطَابِيِّ تَعْمِيمَا بِهِ الْفَلَاحُ الْمَطْلُوبُ

... وَأَكَّدَ هَذَا الْخَبَرَ بِحَرْفِ (قَدْ) الَّذِي إِذَا دَخَلَ عَلَى الْفِعْلِ الْمَاضِي أَفَادَ التَّحْقِيقَ أَيِ التَّوْكِيدَ، فَحَرْفُ (قَدْ) فِي الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ يُفِيدُ مُفَادَ (إِنَّ وَاللَّامِ) فِي الْجُمْلَةِ الِاسْمِيَّةِ، أَيْ يُفِيدُ تَوْكِيدًا قَوِيًّا"[٢٦]. من هنا يشكل الفعل (أفلح) مع قد فعلاً انجازياً بتحقق البشارة بالفلاح، فضلاً عن استعمال لفظ المؤمنين الذي يحيل في دلالته المعجمية إلى مقتضى يتحدد بـ"الأَمْنُ: ضِدُّالْخَوْفِ. والأَمانةُ: ضِدُّالخِيانة. والإيمانُ: ضِدُّالْكُفْرِ. والإيمان: بِمَعْنَى التَّصْدِيقِ، ضِدُّه التَّكْذِيبُ "[٢٧].

من هنا واتساقاً مع الدلالات المذكورة آنفاً تبرز هذه الآية الكريمة مقاصد البيان القرآني وهدفها المخاطَب في كل الأزمان، وغايتها إقناعه " الله عزّ وجلّ بصفته المتكلم إلى إقناع المخاطب ودفعه إلى العمل بها، ويقضي الاستدلال المنطق(صورياً أو طبيعياً) أن يرفق ذكر النتيجة بذكر الأدلة والحجج التي تخدمها وتؤدي إليها"[٢٨]، من هنا اردفت هذه النتيجة بمجموعة من الحجج التي تقرر النتيجة في الآية الأولى، وهي على النحو الآتي:

الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ

وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ

وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ

وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعُونَ

وَالَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ

وظف البيان القرآني عناصر لغوية متنوعة للتعبير عن أوصاف المؤمنين، بالصياغة الاسمية للجمل، المعطوفة بالواو، والمصدرة بالسم الموصول، أما "العطف بالواو في كل صفة من هذه الصفات، فللدلالة على الاهتمام بكل صفة على وجه الخصوص، وهذا ما تفيده الواو من عطف الإخبار والصفات.وكذلك ذكر الاسم الموصول مع كل صفة، فإنه يدل على الاهتمام والتوكيد...فجاء بضمير الفصل والتعريف في الخبر، للدلالة على القصر، أي: هؤلاء الجامعون لهذه الأوصاف، هم الوارثون الحقيقيون وليس غيرهم. ثم فسر هذا الإبهام، فبين ماذا يرثون، فقال: {الذين يَرِثُونَ الفردوس هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} ففي هذا الإبهام ثم الإيضاح بعده من الفخامة ما فيه"[٢٩] ، والواو بعد ذلك من الروابط الحجاجية التي تفيد تقوية الحج، وزيادة تماسكها، فضلاً عن تقوية كل حجة بالأخرى، وينتج عن الربط بها علاقة التتابع التي تجعل تعرض الحجج بطريقة متسلسلة ومنظمة[٣٠]، " فالربط الحجاجي بواسطة هذه الأداة يسهم في بناء هيكلية مكونات الخطاب وضبط منهجه بربط المقدمات بالنتائج داخل الخطاب الواحد"[٣١].وبذلك تتشكل بين بنية الخطاب علاقات

لفظية ومعنوية على مستوى اللفظ وعلى مستوى الجمل، علاقة بين الألفاظ " وما تشير إليه من أشياء أو معانٍ أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى في السياق، أو يدل عليها المقام، وتلك الالفاظ المحيلة تعطي معناها عن طريق قصد المتكلم، مثل: الضمير، واسم الاشارة، واسم الموصول... الخ، حيث تشير هذه الالفاظ إلى أشياء سابقة أو لاحقة، قصدت عن طريق الفاظ أخرى أو عبارات أو مواقف لغوية أو غير لغوية"(٣٢).

من ذلك الضمير (هم) الذي حقق بتكراره في نسق المقطع الأول للسورة روابط نظمية وعدول عن الظاهر، وفائدة معرفية أقربالى التخصيص بالخبرية لحال المؤمنين وما هم عليه من طاعة الله تعالى والتزام بالعهود، فاضمر بالضمير (هم) حكاية عن الامم السابقة وماسبق من فعلها من مخالفة للأوامر؛ وتجنب المؤمنين ذلك بما يناسب مقام الشخصية المؤمنة بسلوكها العبادي من (الصلاة وزكاه والتزام بالعهد) ، وسلوكها الجسدي (حفظ الفروج) وقد استهلم قطع السورة بالبشارة (قد أفلح المؤمنون) وانتهى بالفوز بالجنة، وبما يتناسب مع تخير اللفظ؛ وتحقق صيغة مخاطبة المؤمنين بالضمير (هم) تغييباً لماسبق من سلوك من حرف لمن سبقهم، وتكرار اسم الموصول (الذين) متمما للمعنى ومحققاً التماسك التركيبي في صلته وتداولية دلالته في تواصل الفلاح للمؤمنين بالصفات المذكورة. وحقق التذييل ثبات سلوكيتهم وفاعلية طاعتهم والتزامهم بعيدا عن سلوك الأمم الأخرى .

المقطع الثاني:-

قال تعالى: **((وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَاكُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٗ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ))** (١٢-٢٠).

يأتي المقطع الثاني ليشير إلى مراحل خلق الأنسان منوها إلى نعم الله عليه، وأعظمها نعمة الإنشاء والخلق، وتمثل ذلك بمنظومة من أدوات العطف التي تخللت المتتاليات الجملية، وقد تصدر بالواو، وهي"عَاطِفَةٌ غَرَضًا عَلَى غَرَضٍ وَيُسَمَّى عَطْفَ الْقِصَّةِ عَلَى الْقِصَّةِ، فَلِلْجُمْلَةِ حُكْمُ

الاستئناف، لِأَنَّهَا عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةِ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ [الْمُؤْمِنُونَ: ١] الَّتِي هِيَ ابْتِدَائِيَّةٌ، وَهَذَا شُرُوعٌ فِي الِاسْتِدْلَالِ عَلَى انْفِرَادِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْخَلْقِ وَبِعَظِيمِ الْقُدْرَةِ الَّتِي لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ، وَعَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ مَرْبُوبٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، وَالِاعْتِبَارُ بِمَا فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ مِنْدَلَائِلِ الْقُدْرَةِ وَمِنْ عَظِيمِ النِّعْمَةِ"[٣٣]. واقتران خلق الانسان بمخلوقات أخرى مسخرة له، هي من أسباب ديمومة حياته، فالاحتجاج بهذا التنظيم الكوني المسخر للإنسان حري أن يكون سبباً من أسباب إيمانه بالله، وهنا وتنهض أدوات العطف بدور محوري في عملية الربط بين التراكيب، إذ نشهد تعاقب حروف العطف (الفاء وثم والواو) لتنظيم الحجج،للانتقال من حالة إلى أخرى في الأزمان وتباعد الأوقات [٣٤]، ومن ثَمَّ تحقيق المقاصد، ولأن المقام يستحضر نِعم الله على الانسان تظافرت عناصر لغوية كثيرة تعززه وتقويه منها تكرار فعل (خَلَقْنا)، خمس مرات فضلاً عن ورود مشتقات أخرى لهذا الفعل في ثلاثة مواضع و"الخَلْقُ أصله: التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشّيء من غير أصل ولا احتذاء...ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء"[٣٥]ولا يخفى البعد الحجاجي لدلالة الفعل في هذا المقام.

وقد حققت مقصدية هذه الآيات من خلال الخبرية والافعال الماضوية. وافتتحت لغة الخطاب في هذا النصب (قد) للتحقيق والتأكيد، وارتباط ذلك بمقام البعث والنشور وامتداده زمنا ماضيا في خطاب تعبدي لدفع المضار وجلب المنافع التي سخرها اللهل لخلة، .وقد تأكد ذلك بالخبر ولام القسم وحرف التحقيق (قد) للتعريف بالمشركين الذين ينكرون ذلك[٣٦] وقد تحققت الفاعلية بالضمير (نا) العائد على الذات الإلهية، وهي (نا) الفخامة والعظمة، والفعلية الماضوية في الأفعال المكررة (خلقنا) (جعلنا) (كسونا) و(أنشأنا)، بتواتر الأفعال التي تتبع الحدث المنجز الذي تَمَثَّل بمراحل خلق الانسان، ويعد من وسائل (تضام النص) وله سمة تداولية تتجلى بالانجاز الكلامي [٣٧].

ثم ينتقل البيان القرآني مهدداً "بإهلاك الماضين، للرجوع عن الكفر، ويذكّر بنعمة النجاة للإقبال على الشكر... ويدل على أنه يفضل من عباده من يشاء بالرسالة، كما فضل طينة الإنسان على سائر الطين، وعلى أن الفلاح بالإرث والحياة الطيبة في الدارين مخصوص بالمؤمنين كما ذكر في أول السورة، فذكر نوحاًلأن قصته أشهر القصص... ولأنه الأب الثاني بعد الأب الأول المشار إليه بالطين"[٣٨] وهذا الذكر إنما جاء ليتساوق مع المقاصد الكلية التي تنشدها السورة.

المقطع الثالث:-

في هذا المقطع ينتقل بنا البيان القرآني الى مقصد خطابي لتوجيه المجتمعات المنحرفة عن دين التوحيد، موظفاً الأسلوب القصصي، وسنعمد إلى إبراز المحاور الرئيسة التي تبرزها القصص في هذا المقطع، وتظهر من خلال ثلاثة محاور، يتمثل المحور بالإخبار عن دعوة الرسل، أما المحور الثاني فيمثل ردود الأقوام المرسل اليهم، وجاء المحور الثالث ليكشف عن النتيجة التي تمثلت بطلب النصرة، ونزول العذاب :-

المحور الأول	المحور الثاني	المحور الثالث
{وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ}	{فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ}	{قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ وَٱفۡأَ وَحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا } {فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ}
{ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ }	وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ {إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ}	{قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ}
{ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ءَاخَرِينَ}	كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ	{فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ}
{ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ }		
{ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ}	{فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ فَكَذَّبُوهُمَا}	فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ

إذ نلحظ في المحور الأول تصدرالسياق القصصي باستعمال (لقد) توكيد للفعل (أرسلنا)، بوصفه حقيقة منجزة، تبع ذلك تكرار هذا الفعل مع الإخبار عن كل رسول في هذه القصص هو تكرار الفعل إذ إن أصل الدلالة اللغوية لهذا الفعل الرفق والتؤدة، لأن" الرِّسْلِ: الانبعاث على التّؤدة، ناقة رِسْلَةٌ: سهلة السّير، وإبل مَرَاسِيلُ: منبعثة انبعاثا سهلا، ومنه: الرَّسُولُ المنبعث، وتصوّر منه تارة الرّفق"(٣٩)

واستعمال هذا الفعل مع عدد من مشتقاته عند الإخبار عن دعوة الرسل، يحمل وظيفة حجاجية تكشف عن عنوان كبير يرافق دعوة الرسل وهو الدعوة إلى عبادة الله من دون إكراه، وإنما بالرفق واللين، يعزز ذلك خطاب الرسل أنفسهم. هذا الخطاب الذي جُوبه بالكفر والتكذيب والاستكبار. مع تصريح البيان القرآني أن الرسل من هم من الأقوام المرسلين إليها.

وجيء مطلع القصة الثانية والثالثة بقوله تعالى :{ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ }، فعبر عن إيجادهم بالفعل (أَنشَأْنَا)، وليصل تكرار هذا الفعل أربع مرات و"النَّشْءُ والنَّشْأَةُ: إحداثُ الشيءِ وتربيتُهُ"(٤٠)، ودلالة الإنشاء في سياق السورة تومئ إلى "الإيجاد المختصّ بالله "(٤١) سبحانه، وهو نعمة نشهد جحودها مرة تلو الأخرى مع تكرار الفعل، والتعبير بهذا الفعل للدلالة على "حَالَةٌ أُخْرَى طَرَأَتْ عَلَيْهِ عَبَّرَ عَنْهَا بِالْإِنْشَاءِ" (٤٢)، من هنا ورد الفعل في مواضع مخصوصة.

والآيات بعد ذلك بتصدرها بهذا الفعل تنهض بوظيفة حجاجية ومقاصد كبرى، إذ ثمة نعمة الخلق الإيجاد الأول وتسخير النِعم، التي قوبلت بالكفران والجحود، فاقتضى الامر إرسال الرسل، الذين قوبلوا بالتكذيب، فحق الإهلاك والعذاب. وهذا ما تمثل في المحور الثاني، وقد وصف البيان القرآني من لم يؤمن بهذه الدعوة بـ(الذين كفروا) (الذين ظلموا) (الظالمين) ، واطلاق هذه الأوصاف ينهض بوظيفة حجاجية، تبرزها وتجسدها الدلالة اللغوية لهذين اللفظين، فالكفر "ضِدُّ الْإِيمَانِ، سُمِّيَ لِأَنَّهُ تَغْطِيَةُ الْحَقِّ. وَكَذَلِكَ كُفْرَانُ النِّعْمَةِ: جُحُودُهَا وَسَتْرُهَا"(٤٣)، وهذا يقتضي أنه ثمة نعمة، وهي في إرسال الرسل، وهنا تمثلت بإرسال نبي الله نوح (عليه السلام)، فإطلاق وصف الكفر يقتضي"جَحْد المُنْعَم عليه نعمة المُنْعِم"(٤٤). أما الظلم في اللغة فهو "وَضْعُ الشَّيْءِ غَيْرَ مَوْضِعِهِ تَعَدِّيًا"(٤٥)، ومقتضى ذلك أن الظلم هو" الِاعْتِدَاءُ عَلَى حَقِّ صَاحِبِ حَقٍّ"(٤٦). إذاً ثمة حق وهو في هذا السياق دعوة نوح، أُعتدي عليه بالكفر والتكذيب، وكما أسلفنا فإن توظيف هذين اللفظين ينهض بوظيفة حجاجية من حيث المنطوق ومن حيث المفهوم، "فهي تحمل في الوقت نفسه تهمة من جهة المنطوق، حقيقة من جهة المقتضى، إنها اتهام في ضوء حقيقة، ونفي التهمة أي المنطوق لا يمكن إلا أن يمر عبر نفي الحقيقة، أي المقتضى ولا يتأتى ذلك إلا بمهاجمة القائل نفسه

ومناصبته العداء"[٤٧]. هذا فضلا عن وصفهم من خلال الصيغة الفعلية (كذبوا) ثلاث مرات، وبالصيغة الاسمية مرة واحدة (كذباً)، ثم إن حجتهم واستدلالهم إنما هو لكون الرسل من البشر، وهذا تعريض بأقوال مشركي مكة الذين اعتلوا لكفرهم بدعوة الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بكونه من البشر، فكان "الِاسْتِدْلَالُ وَالِامْتِنَانُ اللَّذَانِ تَقَدَّمَا مُوَجَّهَيْنِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كفرُوا بالنبيء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاعْتَلُّوا لِذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِرِسَالَةِ بَشَرٍ مِثْلِهِمْ وَسَأَلُوا إِنْزَالَ مَلَائِكَةٍ وَوَسَمُوا الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْجُنُونِ، فَلَمَّا شَابَهُوا بِذَلِكَ قَوْمَ نُوحٍ وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ نَاسَبَأَنْ يُضْرَبَ لَهُمْ"[٤٨]. من هنا تضافرت هذه القصص في إبراز المجتمعات المنحرفة وبيان المعطى النفسي والذهني لسلوك الكافرين وأقوالهم المتماثلة، وأعمالهم الباطلة النابعة نواياهم في ما تقولوه من أقوال .

من هنا جاء المحور الثالث فشكل النتيجة التي تعد بمقتضاها ومقاصدها تهديداً ووعيداً يردّ مشركي مكة من مغبة التمادي والإيغال في الكفر والتكذيب، فنصرة الرسل واقعة لا محالة" وَالْمَقْصُودُ بَيَانُ اطِّرَادِ سُنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي اسْتِئْصَالِ الْمُكَذِّبِينَ رُسُلَهُ الْمُعَانِدِينَ فِي آيَاتِهِ" [٤٩] .

المقطع الرابع:-

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ٥٤ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ٥٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ
وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١) .

جاء النداء (يأيها الرسل) استئنافاً بيانياً مقصده التنبيه إلى "كرامة الرُّسُلِ عِنْدَ اللَّهِ وَنَزَاهَتِهِمْ فِي أُمُورِهِمُ الْجُسْمَانِيَّةِ وَالرُّوحَانِيَّةِ، فَالْأَكْلُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ نَزَاهَةٌ جِسْمِيَّةٌ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ نَزَاهَةٌ نَفْسَانِيَّةٌ... وَالْأَمْرُ فِي قَوْلِهِ: كُلُوا لِلْإِبَاحَةِ، وَإِنْ كَانَ الْأَكْلُ أَمْرًا جِبِلِّيًّا لِلْبَشَرِ إِلَّا أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ هُنَا لَازِمُهُ وَهُوَ إِعْلَامُ الْمُكَذِّبِينَ بِأَنَّ الْأَكْلَ لَا يُنَافِي الرِّسَالَةَ وَأَنَّ الَّذِي أَرْسَلَ الرُّسُلَ أَبَاحَ لَهُمُ الْأَكْلَ"[٥٠]. ولابد من التنويه إلى أن الندء في الآية الكريمة ليس على ظاهره؛ لأن "الرسل إنما أرسلوا متفرّقين في أزمنة مختلفة. وإنما المعنى : الإعلام بأنّ كلّ رسول في زمانه نودي لذلك ووصى به، ليعتقد السامع أنّ أمرا نودي له جميع الرسل ووصوا به، حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه" [٥١] .

فاستعمل البيان القرآني أساليب متنوعة تدعو ضمنيا إلى الإيمان بالله، تارة بالتوكيد وأخرى بالنفي، أو بالاستفهام، أو بالشرط والجزاء، لتتراوح دلالات هذه الأساليب بين إنذار وترغيب وترهيب، وتنبيه، إذ "جاءت أساليب القرآن في هذا الباب على غاية التفنن والإبداع، تلطفًا في استدعاء الناس إلى التوحيد، وتأليفًا لقلوبهم، ولفتًا لأسماعهم وأبصارهم، وإقامة للحجة عليهم" (٥٢) .

من ذلك أسلوب الخبر المؤكَّد على نحو ما نجده **في قوله تعالى** :-

{إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ
وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ
وَٱلَّذِينَيُؤۡتُونَمَآ اتَواْوَّقُلُوبُهُمۡوَجِلَةٌأَنَّهُمۡإِلَىٰرَبِّهِمۡرَٰجِعُونَ
أُوْلَٰٓئِكَيُسَٰرِعُونَفِيٱلۡخَيۡرَٰتِوَهُمۡلَهَاسَٰبِقُونَ }(٥٧-٦١)

وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ
{وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ}
{وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ}(٩٥)
{إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ} (١١١)

لقد نهض التوكيد في هذه الآيات وغيرها في سورة المؤمنون بوظائف حجاجية تتشكل بحسب السياقات التي ورد فيها، ففي آيات وصف المؤمنين يأتي التوكيد ليقرر مرة أخرى صفة الفلاح التي تقترن بكل وصف هل للمؤمنين، وهو في الوقت نفسه تعريض بمن لم يؤمن، والتوكيد بعد ذلك في خطاب الكافرين حجة بأن دعوة الرسول حق، "فالخصم في الجملة القرآنية المؤكدة... محجوج دائماً سواء واصل الكلام مستنتجاً المفهوم وفق المنطق السليم الذي تفرضه الجمل، إو لجّ في إنكار القضية معانداً "(٥٣).

فاتضحت سابقاً سماتهم المتصلة بالصلاة والزكاة والبعد عن اللغو بسلوك حركي، وطرحت هنا بسلوك عبادي وجد ان يتمثل بالخوف من عقاب الله تعالى، وحققت ان الاهتمام بالخبر وتكرار الموصول اهتمام او تأكيد المن اتصف بصلة من هذه الصلات (٥٤)، فإذا حصلت المعرفة بالقلب حصل الاقرار باللسان ظاهراً، وذلك هو الايمان(٥٥) .

لقد تضافرت الأساليب للتعبير أحوال المؤمنين تارة وأحوال الكافرين تارة أخرى، ونتأمل هذه الآيات التي تصف حال الكافرين، يقول تعالى :-

{وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا}(٦١-٦٢)

{أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ٦٨ أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٦٩ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ} (٦٨-٧٠)

{وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ} (٧١)

إذ بدأ الخطاب بأسلوب القصر المعتمد على النفي والاستثناء الذي يفيد توكيد مضمون الخبر، لينتقل المسار الحجاجي للسياق، من خلال توظيف (بل) وهي من روابط التعارض الحجاجي، فالانقلاب الدلالي حدث باستعمال (بل) التي تفيد الاضراب الانتقالي في الموضعين الأول والثاني، وأفادت الإضراب الإبطالي في الموضع الثالث، هذه المواضع الثلاثة تلخص حال الكافرين، فكل مرة يأتي الرابط(بل) هو إضراب للكلام السابق، فاستعمالها يحيل إلى أن مايأتي بعده هو الواقع المتحقق، وبل من الروابط التي تسوق الحجج المتعارضة، ويكمن الحجاج في أن الحجج تترتب بهاما يمكن أن يسمى بالحجج المتعاكسة، لأن بعضها منفي، وبعضها مثبت[٥٦]، وكما يظهر في هذه الآيات ربطت الحجج بالنتائج، فالحجج التي جاءت بعد (بل) في المواضع الثلاثة، أقوى من الحجج التي سبقت هذا الرابط الحجاجي، ففي الموضع الأول أفادت "إِضْرَابُ انْتِقَالٍ إِلَى مَا هُوَ أَغْرَبُ مِمَّا سَبَقَ وَهُوَ وَصْفُ غَمْرَةٍ أُخْرَى انْغَمَسَ فِيهَا الْمُشْرِكُونَ فَهُمْ فِي غَمْرَةٍ غَمَرَتْ قُلُوبَهُمْ... وأعمالهم على الضِّدِّ مِنْ أَعْمَالِ الْمُؤْمِنِينَ تُنَاسِبُ كُفْرَهُمْ"[٥٧]. وفي الموضع الثاني تسُاق الحجج بمجموعة استفهاماتومآلها في المعنى" أَنَّهَا إِحْصَاءٌ لِمَثَارِ ضَلَالِهِمْ وَخَطَئِهِمْ وَلِذَلِك خُصَّتْ بِذِكْرِ أُمُورٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ. وَكَذَلِكَ احْتِجَاجٌ عَلَيْهِمْ وَقَطْعٌ لِمَعْذِرَتِهِمْ وَإِيقَاظٌ لَهُمْ بِأَنَّ صِفَاتِ الرَّسُولِ كُلَّهَا دَالَّةٌ عَلَى صِدْقِهِ"[٥٨]، فجرى نقض ما اختلقوه بمجيء حرف الإضراب، الذي أفاد الاستدراك. [٥٩] أما في الموضع الثالث فأفاد الرابط الحجاجي إِبْطَالٌ لِمَا اقْتَضَاهُ الْشرط فِي قَوْلِهِ تعالى (وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْواءَهُمْ)،"أَيْ بَلْ لَمْ يَتَّبِعِ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ فَأَبْلَغْنَا إِلَيْهِمُ الْحَقَّ عَلَى وَجْهِهِ بِالْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ ذِكْرٌ لَهُمْ"[٦٠].

أما خواتيم السورة، فجاءت متناسبة ومقررة لمفتتحها، إذ ابتدأت بصفة الايمان التي تستدعي الفلاح، وكل ما جاء بعد الافتتاح قصد به تقرير هذا المعنى العظيم ولا فلاح إلا بها وهي الإيمان، وكل صفات غيرها هي تَبَعٌ لها فإن لم يكن ثمة إيمان فلا فلاح مطلقاً[٦١]، وقد قرر البيان القرآني هذا المعنى في أول السورة، قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ المؤمنون}وقال تعالى في خاتمتها: {إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

الكافرون}، وقد استعمل في الآية الأخير ضمير الشأن الهاء في (إنَّه) الذي يفيد تعظيم الخبر وتفخيمه، فتقرير أن عدم فلاح الكافرين، يستلزم خسرانهم وهلاكهم، وهذا أكدته سياقات السور بالأدلة الواقعية والمحاججة المنطقية،من هنا "أوجب على الناس أن يتدبروا هذه الأدلة، وأن يفهموها ويحصلوها ولو إجمالًا، حتى يكونوا على بينة في أعظم حقائق الوجود، وحتى يكون إيمانهم على غاية الاستقرار، ولذلك نَوّع الأدلة في هذا تنويعًا عجيبًا، حتى تُناسب جميع الناس على اختلاف مستوياتهم وعصورهم" (٦٢) .

ولعل اللافت للإنتباه في السياقات القرآنية ومنها سورة المؤمنون أننا "لا نجد أمراً صريحاً للناس بالإيمان (آمنوا) إلا في مواضع قليلة جداً (١٨موضعاً) ... إن الايمان في القرآن قد وقع التعويل عليه في الدعوة إليه على السبل الضمنية أكثر من السبل الصريحة تحقيقاً لنجاعة المحاجة، وضماناً لأوفر حظوظ النجاح لها باعتبار أن إقامة الدليل على وجوب الشيء دون إيجابه يكون ألزم بالحجة من صريح الدعوة إلى وجوبه بواسطة الأمر، إذ الأمر لا طاقة حجاجية له على عكس ما يتبادر إلى الذهن"(٦٣).

وهكذا تحققت المناسبة المفتاحية للسورة بصدق الفعل وانجازه، وتمكين سلوك المؤمنين في قوة ايمانهم بأن الله اصطفاهم واختارهم استجابة " للدعوة والفلاح وعجل لهم البشرى في الدنيا واختتمت السورة بالآيات **قوله تعالى :- {قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ } (١١٢-١١٨)** ، وهذا الختام يجلب المغفرة واستنزال الرحمات ويرى البقاعي أن افتتاحها بحرف التوقع (قد) وهي نقيضة لما تثبت المتوقع وتقر بالماضي من الحال ولما تنفيه (أفلح) أي فاز وظفر الآن بكل ما يريد، ومن أقرّب الإيمان وعمل بما أُمر به استحق الوصف الثابت لأنه أتقى (٦٤) .

نتائج البحث :-

* إن التداولية في أحدث نظرياتها هي بلاغة للخطاب في مقاماته المختلفة.

* الخطاب والحجاج منهجا تداوليا يهتم باللغة بعيداً عن حدود جملها إلى سياقها المنجز في الفعل والقصد .

* أضفت التداولية على مناهج المفسرين أدوات تحليلية راعت مقاصد الخطاب والمخاطب، وحققت وظائف الاقناع والتواصل .

* سورة المؤمنون ذات خطابات متنوعة تقصد في مجملها إبراز ما بدأت به، وهو فلاح المؤمنين، الذي يقتضي خسران من لا يؤمن .

* استعمل البيان القرآني أساليب متنوعة تدعو ضمنيا إلى الإيمان بالله، تارة بالتوكيد وأخرى بالنفي، أو بالاستفهام، أو بالشرط والجزاء، لتتراوح دلالات هذه الأساليب بين بشارة وإنذار وترغيب وترهيب.

* كان للروابط الحجاجية دوراً محورياً في تنظيم خطاب السورة، وترتيب الحجج والنتائج.

المصادر والمراجع :-

- الأساس في التفسير، سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، الطبعة: السادسة، دار السلام – القاهرة، ١٤٢٤ هـ.
- اعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية ، الطبعة: الرابعة (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، ١٤١٥ هـ
- أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم : جزء تبارك، شحاته عبد الله محمود ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتب.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤م.
- التفسير الموضوعي للقرآن، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية.
- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، دار التربية والتراث – مكة المكرمة.
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، رمزي منير بعلبكي، الطبعة: الأولى، دار العلم للملايين – بيروت، ١٩٨٧م.
- الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية. المؤلف، عبد الله صولة. الناشر، دار الفارابي. سنة النشر، ٢٠٠١م ١٤٢٢هـ
- الخطاب والحجاج، أبو بكر عزاوي، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت–لبنان.

– التلويح على التوضـــيح لمتن التنقيح في أصـــول الفقه، ســـعد الدين مســـعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ)مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر – مصر، ١٣٧٧ هـ – ١٩٥٧ م

– التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف الحدادي ثم المناوي، القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الطبعة: الأولى، عالم الكتب، القاهرة،١٤١٠هـ-١٩٩٠مفي ظلال القرآن، سيد قطب، الطبعة السابعة عشر، دار الشروق، بيروت– القاهرة ١٤١٢هـ

– الكشـــاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله الزمخشـــري، الطبعة: الثالثة، دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٠٧ هـ.

– كلمات القرآن تفسير وبيان، حسنين محمد مخلوف · الناشر: دار ابن حزم، سنة النشر.

– لســـانيات الخطاب، مباحث في التأســـيس والاجراء، نعمان بوقرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢م

– لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـــ)، الطبعة: الثالثة، دار صادر، بيروت– ١٤١٤ هـ.

– لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، الطبعة: الثالثة، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م

– الفروق اللغوية، أبو هلال ال العسكري (ت نحو ٣٩٥هـــ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

– المحيط في اللغة، الصاحب، إسماعيل بن عباد (٣٢٦ – ٣٨٥ هـ)، المحقق: محمد حسن آل ياسين، الطبعة: الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م.

– مفاتيح الغيب = التفســـير الكبير، أبو عبد الله محمد الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، الطبعة: الثالثة د،ار إحياء التراث العربي – بيروت– ١٤٢٠ هـ

– المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصـــفهاني، تحقيق: صـــفوان عدنان الداودي، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت.

– مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـــ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

– من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، جميل حمداوي، دار أفريقيا الشرق.

– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (ت ٨٨٥هـ) دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

الدوريات :-

– الإحالة في نحو النص، أحمد عفيفي www.kotobarabia.com

– تحليل الخطاب في اللسانيات الحديثة ، د. عباس محمد ود. جمال الدين ابراهيم مجلة العلوم الانسانية والطبيعية، السودان مجلد (٢) عدد (١٠)، ٢٠٢١.

– الخطاب الحجاجي من منظور تداولي « مقاربة نظرية » ، عبد القادر حسيني مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون – الجزائر، ع (١٥) ، ٢٠١٦م .

– دراسة الخطاب الحجاجي من منظور الجدل التداولي ، د. احمد عبد الحميد، مجلة عالم الفكر الكويت، ع (١٨٢) ، ٢٠٢٠م .

– ما بين الحجاج والبرهان والاستدلال ، اسعد بن سالم بن محمد المالكي ، مجلة كلية التربية – المنصورة، ع (١٢٠) .

– دور الروابط الحجاجية وأثرها في الانسجام النصي (دراسة تطبيقية في سورة الأعراف)، ابتسام صغيور
univ-msila.dz/items.

– مبدأ القصدية التداولي في خطاب اليات التوحيد في القران الكريم ،سارة كاظم علي خليف مجلة فصل الخطاب الجزائر، ع (٢٥) ٢٠١٩م .

– من خصائص الخطاب القرآني في العهد المكي، عبد الرحمن محمد عبد المتعال، حولية كلية أصول الدين والدعوة في المنوفية، العدد التاسع والعشرون، لعام ١٤٣١هـ-٢٠١٠م

الرسائل الجامعية :-

– الإحالة في ضوء اللسانيات وعلم التفسير من خلال تفسير التحرير والتنوير، زهرة ترسالة ماجستير مقدمة إلى المركز الجامعي اكلي محند اولحاج- البويرة، معهد الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، ٢٠١٠- ٢٠١١م.

الهوامش

[١]من خصائص الخطاب القرآني في العهد المكي،عبد الرحمن محمد عبد المتعال، حولية كلية أصول الدين والدعوة في المنوفية، العدد التاسع والعشرون، لعام ١٤٣١هـ-٢٠١٠م: ٣٥.

[٢] معجم مقاييس اللغة لابن فارس:٢ / ١١٩٨.

[٣] جمهرة اللغة ، لابندريد :١ / ٢٩١.

[٤] المحيط في اللغة، لابنسيده :٣/ ٢٠٠.
[٥] التلويح شرح للتوضيح ، للتفتازاني : ٣٦.
[٦] كلمات القرآن، حسين مخلوف : ٢٧١.
[٧] سورة ص:٢٣
[٨] سورة ص :٢٠
[٩] المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهانى١٥٧/١٥٦.
[١٠] التوقيف على مهمات التعاريف ، زين الدين محمد: ١٥٦.
[١٠] الفروق اللغوية ، ابو هلال العسكري : ١٥٢.
(*) لغة: في حاج - حج، وحجاجاً أي : اقامة الحجة والبرهان، واستقر اصطلاحاً وظيفيا مرتبطة بالخطاب الحجاجي للاقناع والاستدلال والتأثير في الغير ينظر لسان العرب٢٢٨/٢،ومصطلح الحجاج بود عنه وتقنياته ٢٦٧ -٢٦٩
[١٢] من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، جميل حمداوي : ٠٤٩
[١٣]الخطاب الحجاجي من منظور تداولي « مقاربة نظرية » ، عبد القادر حسين يمجلة فصل الخطاب، جامعةا بن خلدون - الجزائر،ع (١٥) ، ٢٠١٦ مص٥٥
[١٤] وظيفة الحجاج تنعكس في الأفعال الكلامية في سياق الخطاب الحجاجي، والتفاعل اللفظى في العملية التواصلية، ينظر : دراسة الخطاب الحجاجي من منظورالجدل التداولي، د. احمد عبد الحميد، مجلة عالم الفكر الكويت، ع (١٨٢) ، ٢٠٢٠م : ٤١-٠٤٢
[١٥] تحليل الخطاب في اللسانيات الحديثة ،د. عباس محمدود . جمال الدين ابراهيم مجلة العلوم الانسانية والطبيعية ، السودان مجلد (٢) عدد (١٠) ،٢٠٢١ ص ٣٦-٣٧
[١٦] ينظر مبدأ القصدية التداولي في خطاب آليات التوحيد في القران الكريم، سارة كاظم علي خليف ص ٥٦
[١٧]مجلة فصل الخطاب الجزائر، ع (٢٥)٢٠١٩م
[١٨] لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس والاجراء، نعمان بوقرة : ٠٧٢
[١٩] التحرير والتنوير ، لابن عاشور : ٥/١٩
[٢٠] جامع البيان في تأويل القرآن المعروف (بتفسيرالطبري)، للطبري : ٥/١٧، وينظر: الاساس في التفسير، سعيد حوى : ٧/ ٣٦٠٩
[٢١]في ظلال القرآن، لسيد قطب : ٤ / ٢٤٤٨.
[٢٢] سورة الانبياء اية ٩٢
[٢٣] ينظر الأساس في التفسير: ٣٦١٣/٧.
[٢٤] ينظر: أهدافك لسورة ومقاصدها في القرآن الكريم،عبد الله شحاته : ٥٠
[٢٥] في ظلال القرآن، : ٤ / ٢٤٤٨.
١) التحرير والتنوير، ابن عاشور :٨/١٨ .
[٢]لسان العرب، ابن منظور: ١٣/ ٢١.
[٣]الخطاب والحجاج، أبو بكر عزاوي : ٢٠.
[١] لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي:١٥٢-١٥٣.
[١] دور الروابط الحجاجية وأثرها في الانسجام النصي (دراسة تطبيقية في سورة الأعراف)، ابتسام صغيور:٢ univ-msila.dz/items.
[١] المصدر نفسه:٢.
[٢] الإحالة في نحوالنص : ١٣. وينظر: الإحالة في ضوء اللسانيات وعلم التفسير من خلال تفسير التحرير والتنوير، زهرة تهامي، رسالة ماجستير مقدمة إلى المركز الجامعي اكلي محند او لحاج- البويرة، معهد الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، ٢٠١٠-٢٠١١ : ٢٦.
[٣٣] التحرير والتنوير:٢١/١٨.
[٣٤] ينظر اعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش : ٤٩٩-٥٠٠
[٣٥] المفردات في غريب القرآن: ٢٩٦.
[٣٦] التحريروالتنوير: ١٩/١١٩.

[٣٧] لسانيات النص : ٤٠.
[٣٨] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: ١٣٠/١٣.
[٣٩] المفردات في غريب القرآن:٣٥٢.
[٤٠] المفردات في غريب القرآن: ٨٠٧.
[٤١] المصدر نفسه : ٨٠٧.
[٤٢] التحرير والتنوير:١٨/ ٢٤.
[٤٣] مقاييس اللغة، ابن فارس: ٥/ ١٩١.
[٤٤] التحرير والتنوير: ٢٤٨/١-٢٤٩. وينظر الحجاج في القرآن الكريم، عبد الله صولة : ١١٦.
[٤٥] مقاييس اللغة، ابن فارس: ٣/ ٤٦٨.
[٤٦] التحرير والتنوير:٣٣٢/٧.
[٤٧] الحجاج في القرآن الكريم: ١١٨.
[٤٨] التحرير والتنوير: ٤٠/١٨.
[٤٩] المصدر نفسه : ٦١/١٨.
[٥٠]التحرير والتنوير: ٦١/١٨.
[٥١]الكشاف، جار الله الزمخشري : ٣/ ١٩٠.
[٥٢]التفسير الموضوعي، جامعة المدينة: ٢٦
[٥٣] الحجاج في القرآن الكريم: ٢٧٥.
[٥٤] التحريروالتنوير : ٧٧/١٩
[٥٥] التفسيرالكبير،للرازي: ٢٣/ ٩٣.
[١] ينظر: دور الروابط الحجاجية وأثرها في الانسجام النصي(دراسة تطبيقية في سورة الأعراف)، ابتسام صغيور:٦
univ-msila.dz/items.
[٥٧] التحرير والتنوير: ٨٠/١٨.
[٥٨] التحرير والتنوير: ٨٧/١٨.
[٥٩] ينظر: التحرير والتنوير: ٩٠/١٨.
[٦٠] ينظر: التحرير والتنوير: ٩٤/١٨.
[٦١] ينظر: لمسات بيانية: ١٢٩
[٦٢] التفسير الموضوعي :٢٩.
[٦٣] الحجاج في القرآن الكريم: ٢٩٦.
[٦٤] نظم الدرر : ١٣ / ١٠٥.